Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد يكون نتيجة لتكديس الجناس والمطابقة كقوله :

مَنْ ماتَ مِنْ حَدَثِ الزَّمانِ فإنَّه يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بن عَبْدِ الله[٣١]

ولذلك حسن تعليق ابن المعتز على قوله :

سَرَتْ تَسْتجيرُ الدمْعَ خوْفَ نَوَى غَدِ وعَادَ قَتَاداً عِنْدَها كُلُّ مَرْقَدِ
لَعَمْرِي لقَدْ حَرَّرْتُ يَوْمَ لَقِيتَهُ لو أنَّ القَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ

بأن المطابقة لم تخرج خروجاً حسناً ، وأنها لا تحسن فى كل شىء ، ثم إن صاحب الوساطة يقول بعد أن يورد بعض استعاراته : فاسدد مسامعك ، واستغش ثيابك ، وإياك والإصغاء إليه ، واحذر الالتفات نحوه ، فإنه مما يصدى القلب ويعميه ، ويطمس البصيرة ، ويكد القريحة[٣٢] . وقد يكون وراء ذلك ما عبر عنه ابن طباطبا بقوله : إنه قد وردت فى أشعار القدماء أشياء لا تفهم معانيها إلا سماعاً ، وربما كان لها نظائر فى أشعار المحدثين ، من وصف أشياء تعرض فى حالات غامضة ، فإذا لم تكن المعرفة بها متقدمة عسر استنباط معانيها ، واستيراد المسموع منها كقول أبى تمام :

تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ والعِنَبِ

فقد كان وقت فنائهم ــ كما جاء فى النبوءة ــ وقت نضج التين والعنب ، ومن هنا جاء الكلام على جهة التقريع والشماتة « ولولا ما ذهب إليه فى هذا المعنى لكان ما أورده من أبرد الكلام »[٣٣] .

إن ما تقدم وغيره ، قد يعطى التعقيد ، ويعطى الغموض ، ولكن هذا الغموض لا يأتى عن التشويش الروحى أو ضعف التعبير ، وإنما عن صفاء الذهن ورهافته والاستغراق فى التأمل ، هو غموض غير معتم ، بل شفاف يصح وصفه بما قال كوكتو عن مالارميه « غامض كالماس » وكل شاعر كبير هو بالضرورة غامض غموضاً ماسياً ، ومن هنا فأبو تمام هو مالارميه العرب[٣٤]

---

(٣١) المصدر نفسه ٣ : ٣٤٧ .
(٣٢) الوساطة ٤١ .
(٣٣) عيار الشعر ٣٩ .
(٣٤) ديوان الشعر العربى ، على أحمد سعيد ٢ : ١١ ، ١٢ .